المجال العشرون
الامتراء

ورد النهي في هذا المجال في سياق واحد عن الامتراء والشك فيما أنزل الله، في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (١٤٧).

جاء في تعريف الامتراء: "المِرْيَةُ: التّردّد في الأمر، وهو أخصّ من الشّكّ. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾(الحج: ٥٥)... والامتراء والمُمَارَاة: المحاجّة فيما فيه مرية[١]"، وقيل: "الامتراء طلب التشكك مع ظهور الدليل أو هو ظهور تكلف المرية وهي مجادلة تستخرج السوء من خبيئة المجادل من امتراء ما في الضرع وهو استئصاله حلبا[٢]"، وقيل: "ويقال:امترى الرجل يمتري امتراء: إذا شك قال الله عز وجل: (فلا تكونَنَّ من المُمْترينَ)[٣]".

إن الحديث هنا فيه نهي عن الشك أو التردد; وهو موجه كما يدل ظاهر السياق إلى النبي ﷺ "وَالْمُرَادُ نَهْيُ غَيْرِهِ عَنِ الشَّكِّ فِي الْقُرْآنِ، كَقَوْلِ الرَّاجِزِ: [الرَّجَزُ]: إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةُ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا [٧٦ \ ٢٤]، وَقَوْلِهِ: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [٣٩ \ ٦٥]، وَقَوْلِهِ: وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ الْآيَةَ [٢ \ ١٢٠ و١٤٥] وَ [١٣ \ ١٣٧]. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ ﷺ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُخَاطِبُهُ لِيُوَجِّهَ الْخِطَابَ إلَى غَيْرِهِ فِي ضِمْنِ خِطَابِهِ ﷺ[٤]".

إن "المراد بهذا الخطاب في المعنى هو الأمّة. ودل الممترين على وجودهم، ونهى أن يكون منهم، والنهي عن كونه منهم أبلغ من النهي عن نفس الفعل. فقولك: لا تكن ظالما، أبلغ من قولك: لا تظلم، لأن لا تظلم نهي عن الالتباس بالظلم. وقولك: لا تكن ظالما نهي عن الكون بهذه الصفة. والنهي عن الكون على صفة، أبلغ من النهي عن تلك الصفة، إذ النهي عن الكون على صفة يدل بالوضع على عموم الأكوان المستقبلة على تلك الصفة، ويلزم من ذلك عموم تلك الصفة. والنهي عن الصفة يدل بالوضع على

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ٧٦٦

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ١ / ٩١

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، ١ / ٣٠٥

(٤) أضواء البيان، الشنقيطي، ٢ / ٣

عموم تلك الصفة. وفرق بين ما يدل على عموم، ويستلزم عموما، وبين ما يدل على عموم فقط، فلذلك كان أبلغ، ولذلك كثر النهي عن الكون. قال تعالى: فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ، وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ، فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ[1]".

في هذا السياق الشريف "تحذير الأمة، وهذه عادة القرآن في كل تحذير مهم ليكون خطاب النبي بمثل ذلك، وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى وأولاهم بكرامته دليلا على أن من وقع في مثل ذلك من الأمة قد حقت عليه كلمة العذاب، وليس له من النجاة باب، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله: {مِنْ رَبِّكَ} وقوله: {فَلا تَكُونَنَّ} خطابا لغير معين من كل من يصلح لهذا الخطاب[2]"، وفيه كذلك "تطمين للنبيّ الكريم، وتثبيت له على ما عنده من آيات الله، فهى الحق من عند الله، فلا جدال فيها ولا امتراء، كما يجادل ويمارى الذين بأيديهم مثل هذا الحق من أهل الكتاب[3]".

يقول صاحب الظلال: "رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما امترى يوما ولا شك. وحينما قال له ربه في آية أخرى: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ».. قال: «لا أشك ولا أسأل». ولكن توجيه الخطاب هكذا إلى شخصه - صلى الله عليه وسلم - يحمل إيحاء قويا إلى من وراءه من المسلمين، سواء منهم من كان في ذلك الحين يتأثر بأباطيل اليهود وأحابيلهم، ومن يأتي بعدهم ممن تؤثر فيهم أباطيل اليهود وغير اليهود في أمر دينهم.

وما أجدرنا نحن اليوم أن نستمع إلى هذا التحذير ونحن - في بلاهة منقطعة النظير - نروح نستفتي المستشرقين... في أمر ديننا، ونتلقى عنهم تاريخنا، ونأمنهم على القول في تراثنا، ونسمع لما يدسونه من شكوك في دراساتهم لقرآننا وحديث نبينا، وسيرة[4]".

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال: الحق – ربك - لا – تكونن – الممترين.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٢ / ٣٥

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢ / ٤١

(٣) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ١ / ١٧١

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ١٣٦